وحالُ الامم في هذا حال الافراد . وكلنا يعلم ان الفتى الذي ييسر له ابواه جميع اسباب التعلم والعمل ، لا يصيب ما يصيبه الفتى المعوز المضطر من كسب ونجاح . ولهـذا نرى الأسر في الاغلب أجيالاً : جيلا يبني ويجمع بالجـد والنصب ، ثم يأتي من يتمتع ويتنعم ، ثم من يبذّر فيضيع .

فالمصاعب والشدائد — حتى النكبات — حافز إذن للافراد والجماعات ، وعلة من علل تنبهها ونهضتها . ولكنهـا ليست كذلك في جميع الاحوال . ففي بعضها تكون سبباً للتهدم والانهيار ، والتبدد والزوال .

الضربة التي توقظ الفتى الناشىء وتؤدي الى ردّ من جانبه عنيف قد تقضي على الشيخ الهرم المتداعي . والمشكلة التي تنبه العقل المتفتح وتزيده نشاطاً وفعالية قد تشلّ العقـل المتفسخ المتراخي .

وكذلك عند الامم : فربّ أمـة تغلبت على ما في محيطها الطبيعي من عوائق وحواجز ، واخرى ارتدت عن مثل هذه العوائق عاجزة خاسرة . بل ان الامة نفسهـا تكون في دور من ادوار حياتها أقدر على تذليل عقبـة ما مما هي في دور آخر ، وتستطيع في بعض الاحوال ان تتلقى الهجمات والنكبات وتنهض اكثر قوة وحيوية ، بينما تنهزم ، أو تنعدم ، في حال اخرى . والتاريخ مليء بالشواهد على هذا كله .

يعتقد البعض ان هجمات البرابرة هي التي قضت عـلى